

المؤولات التصورية للسيمائيات السردية لدى-غريماس- البنية العميقة أنموذجا.

إعداد: خطار نادية*

إشراف: ناصر سطمبول

يأتي الحديث عن السيمائيات السردية محمولا قصد عن أولوية الكشف عن محدّدات التأصيل بوصفها الأطر المرجعية التي انبثقت منها هذه النظرية وعليه، نجدها تمتع محدّدات تأصيلها من مصادر متعددة: الشكلانية الروسية فلاديمير بروب، الأنثروبولوجيا البنوية كلود ليفي ستراوس الإرث اللساني المعاصر فرديناند دي سوسير، لويس يلمسليف، نعوام تشومسكي ونظرية العوامل لويس تينير، المسرح ايتيان سوريو و من بعض الروافد المنطقية والرياضية الحديثة تصورات مجموعة كلين...إلخ.

ساهمت مجموع هذه الروافد على الرغم من تعدّد مصادرها وتنوع مجالاتها في إرساء نظرية عامة للدلالة وتحديد أهدافها ومقاصدها مما يدل على قدرة هذه النظرية على استيعاب جهازها المعرفي لمجموعة من المفاهيم نحو: دال/مدلول، تعبير/محتوى، شكل/مادة، كفاءة لغوية/أداء كلامي، نظام/سيرورة، استبدال/تركيب...إلخ.

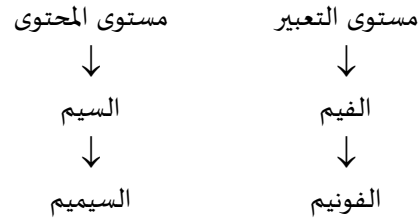
إزاء هذا يرد الأفق النظري المفتوح لهذه النظرية حيث إنها لا تكتفي عند مجرد كونها نظرية تواصلية تسعى إلى دراسة التواصل اللساني وضبط قواعده لأن الدلالة من منظور غريماس لا تكشف عن مضمراتها إلا عبر اللساني وغير اللساني كما أنه بإمكانها أن تتمظهر عبر أشكال مختلفة وضمن كل الظواهر الحسية بما فيها الأصوات، الصور والروائح.

* جامعة وهران1- أحمد بن بلة- الجزائر.

البنية العميقة:

1-1/ التمثيلات الدلالية (المكونات المورفولوجية):

2-1/ السيم : استهل "غريماس" دراسته للبنية العميقة انطلاقاً من عملية التقطيع إلى وحدات دلالية صغرى وسمها بالسيم بوصفه أصغر وحدة دلالية من جهة تموضعه على مستوى المحتوى مستفيداً من الطرح اللساني على مستوى التعبير⁽¹⁾ الذي صنف الظاهرة اللغوية انطلاقاً من الفيم محققاً توازياً بين مستويي اللغة كونه (السيم) أصغر وحدة دلالية به يتألف السيمسم⁽²⁾ تماماً كما هو الحال بالنسبة للفيم المكون للفونيم.



بما أن السيم العنصر الدلالي الأصغر فإنه يمثل القاعدة والوحدة الأساسية الذي لا يظهر إلا من جهة علاقته الاختلافية مع غيره من العناصر، حيث إن وظيفة السيم ترتب لمبدأ الاختلاف فيكتسي دلالاته انطلاقاً من تمايزه وتباينه عن غيره من السيمات مما يكسبه ذلك طبيعة علائقية. لهذا السبب، لا يمكنه (أن يتحقق إلا ضمن مجموع، وفي إطار بنية عضوية علائقية)⁽³⁾ نحو: "ولد" و"بنت" بحيث لهما سيم مشترك في محور الجيل و سيم مختلف في محور "الجنس": ذكورة/ أنوثة. لنأخذ مثلاً آخر⁴:

1	2	3
رجل	امراة	طفل
ثور	بقرة	عجل
ديك	دجاجة	صوص
حصان	فرس	مهر

كل فئة من الفئات الثلاث تحوي ضمنها عنصراً مشتركاً يظهر بمقابلته بالعناصر الأخرى:

سيمانيات

- في الفئة الأولى نجد سيم (الذكورة) (رجل، ثور، ديك، حصان) يقابل سيم الأنوثة في الفئة الثانية (امرأة، بقرة، دجاجة، فرس) كما يشتركان أيضا في سيم البلوغ والكبر، أما في الفئة الثالثة فإننا نجد سيم (الصغر) هو العنصر المشترك بين (طفل، عجل، صوص، مهر).
يكتسي السيم إذن، دلالة انطلاقا من تباينه مع العناصر الأخرى التي يتفاعل معها محدثا بذلك علاقات سلبية وإيجابية، لأن اختلافه وتمايزه هو الذي يعطي قيمة للوحدة الدلالية الصغرى بل ويساهم في إنتاج المعنى وفي سيرورته وذلك عن طريق استبدال⁽⁵⁾ عنصرا بعنصر آخر في مجموعة معينة من السيمات مما يتيح لنا ذلك الوقوف على آثار المعنى ورصد تغيراته.

3-1 أنواع السيمات:

1-3-1: النواة السيمية: ميز "غريماس" بين نوعين من السيمات :

-أولاهما: السيمات النووية: وهي التي تندرج في تكوين الوحدات المعجمية (اللكسيمات) (المستوى السطحي). -ثانيهما: السيمات التوزيعية: تظهر في وحدات تركيبية أوسع بحيث تربط بين لكسين على الأقل (واللكسيم هو أصغر وحدة معجمية دالة).
ولتوضيح هذا التمييز قدم "غريماس" مثلا حول لكسيم "رأس"⁽⁶⁾ المكون من سيمات نووية موزعة بانتظام.

أ/- رأس شجرة.

- عليه ديون حتى رأسه.

تحدد سيمات اللكسيم "رأس" كما يأتي:- الحد الأقصى + العلوية + العمودية.

أما في المثالين التاليين:

-رأس القطيع.

- رأس خط مستقيم.

تحدد السيمات كما يأتي:

-الحد الأقصى + الأمامية+الأفقية+الانتهاء.

-الحد الأقصى + الأمامية+الأفقية +الاستمرارية.

مما يلاحظ:

1/ أن النواة السيمية (الحد الأقصى) حظيت بغلبة الحضور ضمن جميع التحليلات التدريجية للسيمات النووية. 2/ أن أي تغيير بسيط للسيم الانتهاء بالاستمرارية يسمح بتغيير المعنى والحصول على معنى جديد.

4-1 / السيمات السياقية (الكلاسيم) يصنف "غريماس" الكلاسيم ضمن السيمات السياقية الذي يساعد على اتصال بعض الصور الموجودة في الخطاب الواحد مع بعضها، مما يكسبه ذلك طاقة توليدية انطلاقاً من أن السيمات السياقية (تنتشر ضمن وحدات نحوية أكثر اتساعاً وتستلزم وصلة بين لكسيمين)⁽⁷⁾ على الأقل.

ينفصل الكلاسيم عن النواة السيمية الثابتة التابعة للمعنى المعجمي للمفردة ويتحدد من خلال السياقات المختلفة التي يرد ضمنها والتي تعمل على تأطير المستوى الدلالي⁽⁸⁾ لأن تغيير دلالة أي سيم مرتبط بتغيير الحقل الدلالي الذي ينتهي إليه والذي لا يظهر إلا من خلال السياق. فالمثال الذي ذكرناه سابقاً حول لكسيم "الرأس"⁽⁹⁾ مثلاً بوصفه نواة سيمية ثابتة لا يمكننا تحديد دلالاتها إلا من خلال وضعها ضمن سياق معين.

لنأخذ مثلاً آخر¹⁰:

-أصداً صوته.

-أصداً صوت الرجل.

-أصداً صوت الأسد.

-أصداً صوت لارتظام طائرة

-أصداً بركان... إلخ.

اكتسبت كلمة "أصداً" معانٍ مختلفة وعلة ذلك تكمن في مجاورتها لكلمات أخرى أضافت إليها معانٍ ودلالات جديدة، ففي قولنا "أصداً صوته" تحيلنا على مدى فيزيائي غير أن مزيداً من معرفة السياق يوضح القسم المضمن لها.

فإذا كان المقصود بـ "أصداً صوت الرجل" أدرجت ضمن سياق إنساني، فإن المراد من "أصداً صوت الأسد" أنها تتضمن دلالة الحيواني في حين أن "أصداً صوت لارتظام الطائرة" تضمنت دلالة صناعية حضارية. كما أن "أصداً البركان" نتجت وهي تحمل دلالة الحدث التكويني لصوت الطبيعة. ونسجاً على هذا المنوال، يمكن أن نستقرئ الدلالات العامة الكامنة في ملفوظات أخرى مثل: "أصداً الماضي" و "أصداً الحدث" و "أصداً الضمير".

5-1 / السيميم: عرف "غريماس" السيميم بأنه اجتماع السيميمات النووية (ذات الخاصية السيميولوجية) بالكلاسيمات (ذات الخاصية الدلالية) ضمن المستوى المحايث الذي ينتقل إلى مستوى تمظهر المحتوى -ينبغي عدم الخلط بين مستوى تمظهر المحتوى و التمظهر اللساني أو النصي أين

يجتمع المحتوى والتعبير- هذه التركيبية تفرز آثارا للمعنى في مستوى الخطاب وسمها " غريماس بالسيميم.

لا يمكن للسيمات النووية أن تظهر على مستوى تمظهر المحتوى ⁽¹⁰⁾ دون الكلاسيكات، والأمر نفسه بالنسبة للسيميمات بينما يمكن للسيمات السياقية أن تجمع بينهما.

بما أن السيميم نتاج لدخول السيمات في علاقة مع بعضها البعض فإن هذه المجموعة في اختلافها تعطينا قيمة السيمات، والسيميم بدوره عندما ينتقل إلى سياق آخر يعطينا دلالة أخرى فالعلاقة بينهما إذن، تكاملية فكل وحدة معجمية صغرى لابد لها من مضمون، شكل هذا المضمون أو محتواه يشكل السيميم بوصفه (فعلا بنويا، ووحدة من مستوى المحتوى) ⁽¹²⁾ إذن، السيميم هو شكل المحتوى للوحدة الدلالية الصغرى (السيم) للوحدة المعجمية الصغرى (الكسيم).

هكذا، يكون سيميم السيارة: "سيم المحرك"، "سيم المقود"، "سيم العجلات"، "سيم الإستعمال العائلي"... إلخ. -سيميم الشاحنة: "سيم المحرك"، "سيم المقود"، "سيم العجلات الثمانية"، "سيم الثلاث كراسي"، "سيم الشحن"... إلخ.

ما يلاحظ، أن الفروق الدلالية بين سيميم السيارة و سيميم الشاحنة هي نتاج تشاكل أو توارد السيمات و تباينها أو اختلافها.

6-1/ التشاكل : يعد "غريماس" أول من أدرج هذا المصطلح الإجرائي ضمن ميدان التحليل الدلالي ⁽¹³⁾، إذ استعاره واستوحاه من الحقل الفيزيائي-الكيميائي للدلالة على انسجام الخطاب – بعدما أضاف إليه دلالة خاصة ثلاث الحقل الجديد الذي أدرج ضمنه- من خلال تكرار مجموعة من السيمات السياقية أو الكلاسيكات.

لقد أدى مفهوم التشاكل الذي يعدّ مفهوما مركزيا نتج أساسا من أجل فهم آليات إنتاج المعنى إلى تجاوز حدود الجملة من خلال تبني وحدة كبرى هي الملفوظ أي الولوج نحو الإرهاصات الأولى لتشاكل الخطاب، فالتشاكل من منظور غريماس هو (تواتر مجموعة من الوحدات الدلالية (الكلاسيكات) الضامنة لقراءة منسجمة للمحكي كما يتحقق من خلال القراءات الجزئية التي تعمل على إجلاء الغموض الذي تتضمنه الملفوظات. والغاية من هذه القراءات هو الوصول إلى قراءة واحدة للنص) ⁽¹⁴⁾ تحقق اتساقه و انسجامه وبمعنى أدق نصيته.

إن التراتبية أو التواترية ضمن هذا التعريف الذي طرحه "غريماس" معناها أن التشاكلات الجزئية تتجمع وتتوحد من أجل تأسيس تشاكل جديد يمكننا أن نسميه بالتشاكل الكلي الذي يجلي مشمولات معنى النص.

مما يعني أن حضور الخطاب يرتب إلى حضور التشاكل برمته كونه يمثل ذلك (المستوى المشترك الذي يسمح بتحقيق الانسجام الذي من شأنه رفع اللبس وإضفاء التجانس على طول المسارات الخطابية)⁽¹⁵⁾ أي: تلك المساهمة في ضبط العوالم الدلالية لأن التشاكل هو الضمانة التي تعزز وحدة النص، إذ يشكل البؤرة الذي تنتظم حوله مجموع القيم الدلالية إذ ينتهي في الأخير صوب محصلة قراءة موحدة للنص و إلى مهيمنة المعنى المفرد.

كما يمكن إزاء هذا، التمييز بين نوعين من التشاكلات ضمن كل نص⁽¹⁶⁾

-تشاكل دلالي: يهدف التشاكل الدلالي إلى ضمان انسجام أجزاء الخطاب، ذلك أنه ينتج عن إطناب السيمات السياقية من صنف (إنسان عك حيوان) (مقدس عك دنوي) وهي تشاكلات متغايرة بالدلالة التي ينتجها النص.

-تشاكل سيميولوجي: وهو تشاكل يتحدد عبر تكرار السيمات النووية، فيقوم بربط الدلالة بالعالم المشترك، أي بالعالم الخارجي ليخلص بذلك إلى الحديث عن العالم من خلال النص أمراً ضرورياً ومشروعاً في آن واحد.

مما يلاحظ أن ما يفصل بين التشاكل الدلالي والتشاكل السيميولوجي لا يتعدى كونه ضرورة نظرية تبعا للآليات المنهجية فقط.

7-1/ البنية الأولية للدلالة:

بما أن منطق الدلالة هو الاختلاف بوصفه مبدأ ترتبين إليه الدلالة كونها نتاجا لعلاقات التباين والتقابل القائمة بين سيمين على الأقل، فإن السيم لا معنى له إلا في علاقته الاختلافية مع سيم آخر وفي إطار بنية .

إن تصور "غريماس" للبنية الأولية للدلالة يعود أساساً إلى التعريف الذي قدمه "دي سوسير" للسان في قوله (في اللسان لا وجود إلا للاختلافات)⁽¹⁷⁾ إن الوجود مثلاً لا يستقيم معناه إلا بمقابلته للعدم، ومعنى الحياة بمقابلته بالموت، كذلك لا يدرك معنى العلم إلا بمقابلته للجهل... إلخ، بحيث تُعدّ هذه الثنائيات المتعارضة البنية الأولية للدلالة التي مكنت "غريماس" من بناء نموذج الممثل في المربع السيميائي.

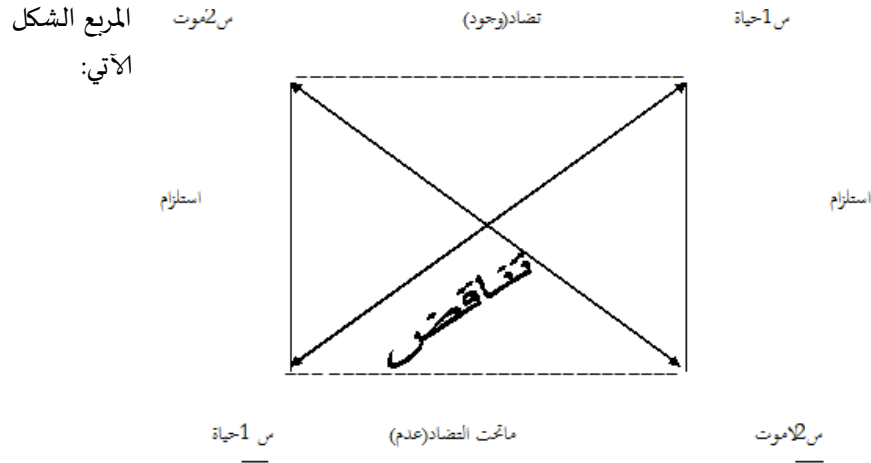
8-1/ المربع السيميائي: يعرف "غريماس" و"كورتاس" في قاموسهما المربع السيميائي بوصفه (تمثيلاً مرئياً لمتفصل منطقي لأي مقولة دلالية، وهو البنية الأولية للدلالة باعتبارها علاقة تجمع بين كلمتين على الأقل ضمن مقولة التقابل)⁽¹⁸⁾ إذ تعرفه جماعة "أنثروفران" بأنه (آلية أو مجموعة من العلاقات

سيمانيات

القابلة لتمفصلات دلالية⁽¹⁹⁾ من ثم، يمكننا القول بأن المربع السيماني يمثل الجانب الشكلي للمعنى المؤسس على علاقات منطقية.

9-1/ بنية المربع السيماني:

-نظام العلاقات: أشار "غريماس" أثناء تطرقه لبنية المربع السيماني إلى نظام العلاقات التي ينبغي عليها والتي تخضع لها الوحدات الدلالية لتوليد عالم دلالي. تتخذ علاقات الوحدات (السيمات) بعضها ببعض، طابع الاختلاف والتقابل فهي إما علاقات تضاد، تناقض، أو علاقات استلزامية إذ يقتضي حضورها وجود تقابلات منطقية للسيمات، بحيث يأخذ



1/ س1 ----- س2 علاقة تضاد بين [س1 و س2] [حياة موت]

وبين [س2 و س1] [لاموت لا حياة]

2/ س1 ← س2 علاقة تناقض بين [س1 و س2] [حياة لا حياة]

و بين [س2 و س1] [موت لا موت]

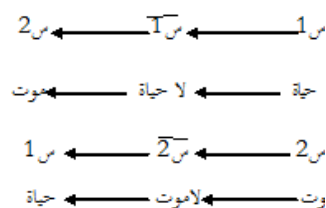
3/ س1 ----- س2 علاقة استلزام بين [س1 و س2] [حياة لا موت]

و بين [س2 و س1] [موت لا حياة]

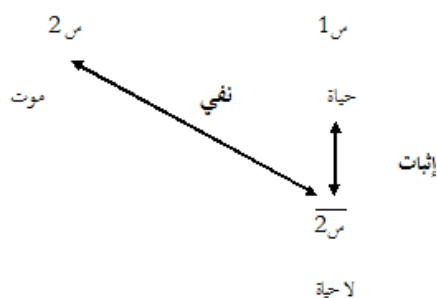
سيمانيات

نظام العمليات: يستمد المربع السيماني حركيته من نظام العمليات التي تؤمن المرور من حالة إلى أخرى، إذ تعتبر (كانتقال من قيمة إلى قيمة أخرى) ⁽²⁰⁾ في مقابل العلاقات التي تظل ثابتة و سكونية والتي تمثلها حدود أو سيمات المربع.

1/ علاقة التناقض بين $[1 \text{ م} \overline{1}]$ [حياة لاهياة] إن إحدى الحدين ينفي الآخر وينقضه بحيث يستحيل لأن المرور من $[1 \text{ م}]$ إلى الجمع بينهما نظرا لعدم وجود وسيط يجمعهما، وتقوم هذه العلاقة على عملية النفي $[1 \text{ م}]$ [حياة لاهياة] هو نفي ل 1 م (حياة) وإظهار للحد النقيض 1 م (لا حياة).



2/ والمرور من $1 \text{ م} \overline{1}$ (من حياة إلى لاهياة) يفترض عملية إثبات وإظهار ل 2 م (موت) (عكس 1 م (حياة) انطلاقا من 1 م (لا حياة)).



هوامش البحث:

1. Greimas(A.J),Courtés(J),Sémiotique,Dictionnaire Raisonné De La Théorie Du Language , Ed. Hachette,Paris,1976,P.332.
2. ibid, p332.
3. Courtés(J),Introduction A La Sémiotique Narrative Et Discursive,Ed.Hachette, Paris ,P.
4. ibid. ,p.76.
5. ibid. ,p.48.
6. Greimas(A.J),sémantique structural , ed. larouse , paris ,pp.45-46.
7. Courtés(J),Introduction A La Sémiotique Narrative Et Discursive,p.49.
8. ibid. ,p.50.
9. voir , - Greimas(A.J),sémantique structural,pp.47-48.
10. العجيجي(محمد الناصر)، في الخطاب السردى نظرية قريماس، سلسلة مساءلات، الدار العربية للكتاب، 1993، صص90-91.
11. voir , Greimas(A.J),sémantique structural ,p.45.
12. ibid,p.45.
13. Greimas(A.J),Courtés(J),Sémiotique,Dictionnaire Raisonné De La Théorie Du Language ,p.335.
14. ibid., p.197.
15. Greimas(A.J),Du Sens,Ed.Seuil,1970,p.188.
16. Courtés(J),Introduction A La Sémiotique Narrative Et Discursive,p..50
17. Groupe D'entreverne, Analyse Sémiotique Des Textes, Presse Université,Lyon,4ieme Edition,1984 ,p.123.
18. sausure(d.f) ,cours de linguistique générale,éd.payot ,paris ,1962,p.166.
19. Greimas(A.J),Courtés(J),Sémiotique,Dictionnaire Raisonné De La Théorie Du Language ,pp.29-30.
20. Groupe D'entreverne, Analyse Sémiotique Des Textes p.137.